مجلة العلوم الاجتماعية
المجلد 15 / العـدد 02 / سبتمبر2021 / ص ص 418 - 432
Journal home page: http://journals.lagh-univ.dz/index.php/ssj
ASJP: https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/305

المثقف الأكاديمي في المجتمع الافتراضي

Academic Intellectual in Virtual Public Space.

سفيان رباش [1] ، رشيد بوسعادة [2]
1 مخبر التغير الاجتماعي - جامعة الجزائر 2 (الجزائر) ، sofiane.rebbache@univ-alger2.dz
2 جامعة الجزائر 2 (الجزائر) ، boussaadadz@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/06/01 تاريخ القبول: 2021/09/17 تاريخ النشر: 2021/09/30

ملخص:
ضلت بُكَائيات المثقفين تشكو تضييق أُفق حرياتهم وأنشطتهم في مجتمعاتهم نتيجة حشرهم والتضييق عليهم في فضاء عمومي محجوز من طرف سُلط متعددة تتحكم في مُدخلاته ومُخرجاته سعيًا منها لتأطير هؤلاء المثقفين وقولبتهم في قالب واحد يخدم النمط المُبتغى والمشتغل عليه، في هذا الإطار يروم البحث الوقوف على مآل المثقفين أنفسهم في المجتمع الافتراضي بعد بروز الفضاء العمومي الافتراضي، مع العمل على المثقف الأكاديمي بصفته احد أنماط المثقفين الأكثر اتصالا بالمجتمع الافتراضي الذي زاد من سعة مجال نشاط المثقف في مجتمعه، لتبقى آليات تعامل المثقف الأكاديمي مع هذه السعة هي المتغير، الموجه والمفتاح.
كلمات مفتاحية: المثقف الأكاديمي، المجتمع الافتراضي، الفضاء العمومي، الفضاء العمومي الافتراضي.

ABSTRACT:
Intellectuals complain that their freedoms and activities in their communities have been narrowed as a result of being crammed into reserved public space, controlled its input and output in an effort to frame these intellectuals and model them into a single template that serves the desired and working pattern. In this framework, research is intended to look at the money of the intellectuals themselves in the virtual community after the emergence of virtual public space.

Working on the article as one of the types of intellectual that is most relevant to the virtual community, which has expanded the field of activity of the intellectual in its community, the mechanisms for the academic intellectual to deal with this capacity are variable, oriented and key.
Keywords: Academic Intellectual; virtual community; public space; public space virtual.

- المؤلف المرسل: سفيان رباش

1- مقدمة:

أعجزت مُختلف الاكراهات والمعوقات المثقف الأكاديمي من أن يُفَعِل سُلطته الفكرية والرمزية في الفضاء العمومي التقليدي، هذا الفضاء المحجوز من طرف سُلط مختلفة عملت على إقصاء كل دور وخطاب لا ينسجم مع ما قدَرته ووضعته من حدود، ولا يتطابق مع توجهاتها، مما دفع بالمثقف عامة والمثقف الأكاديمي خاصة إلى الانزواء والانعزال والقبول بوضعية الإقصاء من ولوج الفضاء العمومي، مما جعله يعيش إغترابين، اغتراب داخل الجامعة واغتراب عن مجتمعه خارج أسوار الجامعة.

والمثقف الجامعي على تعدد انتماءات المثقفين إلى مجلات متعددة ومستويات متفاوتة في التربية والحقوق والزراعة والتجارة والصناعة والإدارة والسياسة والثقافة والآداب والفنون، يتحمل المسؤولية تجاه وطنه بدرجة اكبر عن بقية المثقفين لأنه يصنع رجال المستقبل، ويُنشئ الركائز الأساسية في كل مجال ومن مجالات التقدم والارتقاء. (جمعة، 2007، صفحة 13).

هذا المثقف الأكاديمي الذي باتت مهمته تنحصر فقط في التدريس في الجامعة نتيجة لعوامل عدة، وبالتالي أصبح أداة تلقين معارف فقط مما انعكس على دوره المزدوج في الجامعة وفي المجتمع.

لكن هل يمكن القول أن هذه الظروف هي حجة يُستند عليها ويتدثر بها المثقف الأكاديمي لتبرير جموده وحياده وانعزاله داخل أسوار الجامعة؟ وترك الساحة لشبه المثقفين يحللون الوضع المتعفن وهم لا يملكون المعرفة الكافية للمجتمع ولا يملكون ملكة التفكير والتحليل البناء الاستراتيجي. (بن حوى و الزاوي، 2017، صفحة 410)

إلى ذلك، فان المقارنة بين عالم الخطاب الأكاديمي الفكري في نضالاته المغلقة العاجة بالرطانة والتي لا تهدد احد، وبين ما كان يمارسه الحيز العمومي أمر ليس مُوقضا للوعي وحسب بل يكاد أن يكون مخيفا أيضا (ادوارد، 2005، صفحة 144)، ومع انبثاق الفضاء العمومي الافتراضي لم يعد للانغلاق سبيل أمام الخطاب الأكاديمي المنتج للفكر والمعرفة والهادف إلى التنوير المجتمعي عبر النقد والإرشاد، مُستثمرًا الانفتاح الذي هو إحدى سمات الفضاء العمومي الافتراضي ليُفَعِل المثقف الأكاديمي من دوره تجاه نفسه أولا وحضوره المزدوج في مجتمعه بصفته حامل مهمة التنوير وإعداد الأجيال داخل الجامعة ومهمة المشاركة في إرشاد مجتمعه، بعيدا عن بُكائيات المثقفين التي تشكو تضييق أُفق حرياتهم وأنشطتهم في مجتمعاتهم نتيجة حشرهم والتضييق عليهم في فضاء عمومي محجوز من طرف سُلط متعددة تتحكم في مدخلاته ومخرجاته سعيا منها لتأطير هؤلاء المثقفين وقولبتهم في قالب واحد يخدم النمط المُبتغى والمشتغل عليه، فبعد بروز المجتمع الافتراضي ارتقى مآل المثقفين أنفسهم وزادت فساحة حرياتهم واستقلاليتهم، وبالخصوص المثقف الأكاديمي بصفته احد أنماط المثقفين الأكثر اتصالا بالمجتمع الافتراضي الذي زاد من سعة مجال نشاط المثقف في مجتمعه، لتبقى آليات تعامل المثقف الأكاديمي مع هذه السعة هي المتغير، الموجه والمفتاح.

مشكلة البحث: تنطلق مشكلة البحث من موقع المثقف الأكاديمي في الفضاء العمومي بين الإقصاء في التقليدي وفرص حضوره وتفعيل سلطته الفكرية والرمزية في الافتراضي منه، هذا المثقف الذي تقاس أدواره بقدرته من عدمها في التأثير في بيئته، خاصة إذا علمنا سمة الدور المزدوج للمثقف الأكاديمي في بيئة مجتمعه وبيئة الجامعة بما فيها من حاضنة مهنية، فكرية واجتماعية.

وعليه، ماهو موقع ومآل المثقف الأكاديمي في الفضاء العمومي الافتراضي؟

وتندرج ضمنه التساؤلات التالية:

- ما هي المعوقات والاكراهات التي تقف أمام المثقف الأكاديمي في الفضاء العمومي؟
- ما هي الحوافز والإضافات التي أتاحها الفضاء العمومي الافتراضي للمثقف الأكاديمي الفاعل؟
- ماهي مآلات المثقف الأكاديمي الفاعل في ظل تجليات غلبة ديمقراطية الفضاء العام الافتراضي؟

أهداف البحث: محاولة كشف التغيرات التي طرأت على الحقل الثقافي بفعل التحول/النشاط/الثورة الرقمية وما أحدثته هذه التغيرات في الفضاء العمومي التقليدي مقابل بروز الفضاء العمومي الافتراضي ومكانة المثقف الأكاديمي فيه ودوره المرتجى منه من خلال مهمة تاريخية دعت إليها الحاجة للاستثمار في مقومات الفضاء العمومي الافتراضي وايجابياته المتاحة للمثقف الأكاديمي بعيدا عن اكراهات مختلف السُلط وسيطرتها على الفضاء العمومي التقليدي المغلق والمحجوز.

كذلك الوقوف على مدى التغيرات المحدثة في المثقف الأكاديمي في ذاته، مفهومه، سماته وأدواره بفعل الانفتاح الذي إتاحه التحول والمنعرج الرقمي/التكنولوجي.

منهج الدراسة: اعتمدنا كمنهج لبحثنا على المنهج الوصفي التحليلي، لأنه يتلاءم مع طبيعة الدراسة.

2- التأصيل المفاهيمي:

2-1- المثقف:

عرف مفهوم المثقف تطورا مستمرا واتخذ أشكالا متعددة وظهر في قوالب متنوعة ومارس أدوارا مختلفة، حتى قبل ان يتم نحت المصطلح نفسه، فالمسارات التطورية لهذا الفاعل الاجتماعي اتسمت بنوع من التعقيد الشديد، ارتبطت هذه التنقلات والمنعطفات المعرفية للمفهوم بعوامل سوسيوثقافية عدة منها: الفتوحات العلمية التي شهدتها ميادين البحث العلمي، تطور مناهج الدراسة والتحليل، إضافة إلى أشكال التنظيم السياسي والاجتماعي، من دون إغفال أساليب المقاومة وضروب التصدي المختلفة التي أبدتها التشكيلات المجتمعية، على اختلاف مرجعيتها وأفكارها للحضور الدائم للسلطة السياسية واكتساحها المريب حقول الإنتاج الرمزي. (هروس، 2018، صفحة 284)

في مجتمعاتنا الإسلامية العربية حاول محمد عابد الجابري تَبْيِئَة مفهوم المثقف واستنباته في التربة العربية وتاريخها مُستعملا "المنهج الارتدادي" بحيث انتقل فيه من " ما بعد الأوربي" إلى " ما قبل الإسلامي"عن طريق المجانسة بين محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد من جهة، وموقف إميل زولا من قضية دريفوس من جهة أخرى، مؤكدا أن المشتغلين بفكرهم لا يكونون مثقفين " إلا إذا كان الوعي الفردي مهيمنا عليهم" بحيث يكون المثقف بوصفه فردا "له وعي خاص، ورأي خاص، ربما رؤية للعالم خاصة". (هروس، 2018، صفحة 288)

هذا يحيلنا مباشرة إلى المثقف العمومي، المثقف الذي يؤدي دورا في الشأن العام، انطلاقا من كونه مثقفا، صاحب إلمام معرفي ومواقف عمومية في الوقت ذاته، ويحافظ على مسافة نقدية (بشارة، 2013، الصفحات 7-11).

وبخصوص حسه النقدي، فان المثقف في جوهره ناقد اجتماعي، انه الشخص الذي همه أن يحدد ويحلل ويعمل، للإسهام في تجاوز المعوقات التي تقف أمام بلوغ نظام اجتماعي أفضل، انه بذلك يصبح ضمير المجتمع. (الجابري، 2000، صفحة 25)

بشكل عام تتجه مختلف التعريفات إلى الإعلاء من دور المثقف وإضفاء مسحة مثالية على توجهاته مما يعتم على الواقع العملي، وفي تحديدنا لمفهوم المثقف عامة والمثقف الأكاديمي موضوعنا نختصر الجدل التعاريفي التي وضعت لـ / وعن المثقف ونذهب مباشرة إلى صفات المثقف والشروط الواجبة فيه في انه:

- يتصف بقدر واسع من الاطلاع والمعارف الفكرية المتنوعة، وبالتالي فان مفهومه يقف في مقابل مفهوم المختص نسبيا، أما المثقف فصاحب معارف لا تتحدد بموضوع معين بالذات،
- إن اطلاع المثقف الواسع يؤهله لان يمتلك القدرة على الإدراك النظري فهما وتأسيسا أي انه يمتلك المقدرة على فهم ما يطرح من النظريات الفكرية العامة،

- إن معارف المثقف مستمدة في الأساس من النظر والاطلاع على شؤون الواقع وممارسة التحليل العقلي، وبالتالي فان المثقف ذو مقدرة عالية على النقد والتفكير والتمييز بين الآراء لها علاقة بالواقع ومجرى الأحداث العامة،
- ينصب اهتمام المثقف على قضايا المجتمع، باعتباره كائنا معرفيا وفاعلا. (يحي، 2007)

فالمقصود بالمثقف: " هو الفاعل الاجتماعي المنتج للمعرفة، بقصد تفسير المجتمع وتغييره، فهو لا يقتصر فقط على تغيير العالم، وفق ما يريد كارل ماركس Karl Marx ، ولا على تفسيره فحسب نائيا بنفسه عن التغيير وفق ما يرى عبد الإله بلقزيز، بل يزاوج بين الدور الرمزي المتمثل في الإنتاج المعرفي والدور الاجتماعي، عن طريق الانخراط الواعي والعالِم في قضايا المجتمع، استنهاضا وتنويرا ونقدا، فالمثقف واعي ومسؤول وفق ما يقول علي شريعتي، وبهذا التعريف نجعله يتميز عن نمطين من حاملي الأفكار وهما: "الخبير والمناضل السياسي". (هروس، صفحة 289)

2-2- المثقف الأكاديمي:

في المثقف الأكاديمي نضيف صفة الاشتغال بالميدان العلمي والفكري الأكاديمي سواء عن طريق الانتساب العضوي إلى الجامعة مباشرة أو الاستقلالية العضوية عن الجامعة مع الاشتغال في الحقل الأكاديمي.

ضف إلى هذه الصفات وحتى ندقق أكثر في " المثقف الأكاديمي" لابد من شرط المشاركة والفعَالية المجتمعية والاستقلالية أو كما يقول ماكس فيبر Max Weber عن المثقف انه هو الكائن القادر على تمثل الحرية والمسؤولية (نوري، 2016، صفحة 2)

فغياب وزوال نشاط الحرية ابرز المعوقات التي اعترضت المثقف دوما، وحدت من أدواره الاجتماعية، أما الالتزام فهو الوعي الحاد بوجوده لدى المثقف في قول الحقيقة ونشرها والدفاع عن الحق والعدل والحرية مما يميز بين المثقف الحقيقي ومحترفي الأنشطة الثقافية، هذا الالتزام الذي أدخلت عليه تحويرات جديدة انتقلت به من الالتزام بقضايا الحرية والعدالة في أبعادها العامة إلى الالتزام السياسي، مما أنتج المثقف المناضل او المثقف الداعية، أما الاستقلالية الذاتية عن مراكز التأثير، هذه الاستقلالية فهي التي طالما كان يصبو إليها المثقفون وبصفها شرطا محددا لقيامهم كفئة تملك شخصية اجتماعية

والمثقف الأكاديمي هو ابن بيئته، وظف إلى حد ما التقنيات البحثية المتمثلة في الملاحظة بالمشاركة، والتي اعتبر ألان توران Alain Touraine المغزى منها فهم الآخر من خلال تقاسم ظروف مشتركة، إذ أنها تجعل الباحث يخترق الظاهرة موضوع الدراسة. (الحسيني، 2019، صفحة 18)

وما يميز المثقف الأكاديمي الفاعل في الفضاء العمومي الافتراضي عن باقي الفاعلين مثل الفنانين أو الصحفيين هو انه لا يبحث عن سبق إعلامي ولا يخاطب وجدان المتلقي، بل يقوده هنا ما هو علمي وتحركه ديناميكية الفكر بما تفترضه من نقد ونقاش واتصال وابتكار، لذلك فبانخراطه في الحركة الاجتماعية يستطيع اختراق الظاهرة من الداخل ويفهمها عن كثب ويحلل تشاركيًا آليات الهيمنة ويبني بشكل تفاعلي استراتيجيات الفعل من اجل التغيير. (الحسيني، 2019، صفحة 24).

2-3- المجتمع الافتراضي:

الثابت أن الانترنيت أحدثت مجتمع جديدا بكل المقاييس، وهو مجتمع افتراضي من حيث نشأته وتأسيسه، لكنه واقعي وحقيقي من حيث أبعاده وآثاره على الأطراف المشاركة فيه (سامي عبد الفتاح، 2009، صفحة 37)

ونقصد بالمجتمع الافتراضي مجموعة حقيقة تشكلت في الفضاء الافتراضي على الويب، (صغير عباس، 2018) فالمجتمع الافتراضي والفضاء الالكتروني والمجال العام والنظام الرقمي...كلها مصطلحات تعبر عن مجموعة من البشر تربطهم اهتمامات مشتركة، ولا تربطهم بالضرورة حدود جغرافية أو أواصر عرقية أو قبلية أو سياسية أو دينية، يتفاعلون عبر وسائل الاتصال ومواقع الاتصال الاجتماعي الحديثة. (بلخير، 2018، صفحة 388).

2-4- الفضاء العمومي:

يعد إيمانويل كانط Immanuel Kant أول من فَكَر في عمومية التفكير، حيث مَيَّز بين الاستعمالين الخاص والعام للعقل، الاستعمال العمومي للعقل وهو الذي وفر الأرضية الصالحة ليورغن هابرماس Jürgen Habermas لتأمل مصطلح الفضاء العمومي. (العلوي، 2014، صفحة 4)

يُعَرِف هابرماس الفضاء العمومي على انه: " فضاء للوساطة يقوم فيه الأفراد الخواص بالاستخدام العمومي للعقل بغية بناء توافق سياسي"، ويركز على النقاش والحجاج العقلي، والذي يجب أن يكون بمنأى عن أية تأثيرات أيديولوجية، هذا الضرب من الحجاج لا يمكن أن يتحقق إلا داخل فضاء عمومي تتحقق فيه شروط الديمقراطية. (هواري، 2015، صفحة 227).

وعند حنا أرندت Hannah Arendt فالفضاء العمومي فضاء التمثيل الذي يفترض حضور الجمهور الذي بإمكانه أعطاء أحكام إزاء القضايا ذات الشأن العام من خلال عنصر التجلي والأحكام والمواقف، فإذا غاب إبداء الموقف والتفاعل يفتقد المركز الأول أي مشهد الظهور قيمته وأهميته.

2-5- الفضاء العمومي الافتراضي المفتوح

أما الفضاء العمومي الافتراضي المفتوح فهو بيئة إنسانية وتكنولوجية جديدة للتعبير والتبادل، وهو يتكون أساسا من دائرة وسطية تكونت تاريخيا بين المجتمع المدني والدولة وهو متاح لجميع المواطنين للتعبير عن آرائهم.

فإذا كان الفضاء العمومي التقليدي هو المجال الذي يتم فيه التحاور والمناقشة وتبادل الآراء حول قضايا الشأن العام، ومسائل المواطنين السياسية والاجتماعية، والفضاء الذي يتيح للمواطن والسياسي إمكانية التواصل والتفاعل، فان فضاءات الانترنيت الاتصالية تعد تجسيدا لما تحدث عنه هابرماس، وهو ما يجعله الفضاء الأمثل الذي يجسد الفضاء العمومي. (هواري، 2015، صفحة 228).

فالفضاء العمومي الافتراضي هو تلك الساحة ذات الأبعاد المتنوعة التي تحتضن فضاءات جديدة من التفاعل عبر الميديا الجديدة، ويمكن أن تحتوي على نماذج جديدة من الاتصال، أساسها الاتصال الالكتروني أولا وهو أيضا تلك المساحات التي يقوم فيها الأعضاء بتناول قضية ما للنقاش وفيه يتم المشاركة والتي تكون مفتوحة، وثانيتها انه يساوي بين مواقع وادوار الأطراف المشاركة فيه بصرف النظر عن أوضاعهم الاجتماعية ومكانتهم، وثالثتها أن أية قضية فيه تكون قابلة للنقاش. (صغير عباس، 2018، صفحة 119)

هذا ما يجعل " الافتراضي" يتصل بمعنى تجاوز القطبية مع الفضاء العمومي التقليدي هو السياق الافتراضي، هذا السياق الذي هو بالتحصيل خارج سيطرة التقليدي والسُلط مهما كان مصدرها، مما يمكن الفرد من أن يُفعِل " مواطنيته" ويكرس حريته ويستثمر في عقله وتوجهاته حاضرا ومستقبلا.

2-6- التمييز بين الفضاء العمومي الافتراضي والفضاء العمومي التقليدي:

يتميز الفضاء العمومي الافتراضي ببعض الخصائص عن الفضاء العمومي التقليدي وفق المستويات التالية:

- إعادة تشكيل الحدود بين العام والخاص: مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت تمثل فضاءات بناء الهوية الفردية ولاستعراض الذات في الفضاء العمومي يطل من خلالها الناس على العوالم الذاتية للآخرين، هذا التداخل بين العوالم الذاتية الخاصة والعوالم الخارجية يؤدي إلى إعادة تشكيل المعايير الثقافية التي تحدد الخصوصية والذاتية في المجتمعات.
- أشكال جديدة من الفعل الاجتماعي: سمح للنخب المهمشة تجاوز آليات تَغيِيبها في الفضاء العمومي التقليدي، وشكلت فضاءات يحكمها الانسجام الفكري وتنتج مضامين ثقافية، اجتماعية، سياسية ...الخ

- جماليات جديدة: تتجلى في العوالم الذاتية والأفكار ذات العلاقة بالشأن العام وتتجلى أيضا في الطرق التعبيرية للمستخدمين/المتفاعلين.
- المستخدم المبتكر: تحول الجمهور في الفضاء العمومي الافتراضي إلى جمهور مبتكر للمضامين، وقد تكون هذه الإبداعات أصيلة أو تمت إعادة تدويرها.
- بروز وتشكل نخب جديدة: تتكون خاصة من فاعلين ومدونين ومشرفي صفحات يديرون النقاش ويسيطرون عليه. (هواري، 2015، صفحة 228)
- هذا بالإضافة إلى أن الفضاء العمومي الافتراضي يتسم بسمات عامة:
- هو فضاء افتراضي غير مادي، يتجاوز الزمان والمكان، ويوفر فضاء متعدد الأبعاد. (الجموسي، 2016، صفحة 24)
- يقوم على الوسائط الرقمية والتكنولوجية المتصلة في ما بينها عبر شبكة من العلاقات الشبكية أو الوظائف المرتبطة، فهذه الأجهزة تكون محض وسائل تكنولوجية تقدم خدمات محدودة ولكنها تتحول إلى وسائط منتجة للفضاء متى تم وصلها في ما بينها أو تم تفعيل برامجها المختلفة التي تترابط لأداء مهام معينة، فيتم بذلك العروج بواسطتها إلى إنتاج الخطاب وتداوله رقميا وافتراضيا.
- يقوم على إنتاج الخطابات وتداولها، فمن سماته التفاعلية والتواصلية، فهو فضاء مفتوح للتشاور والمناقشة وممارسة الحوار وإنتاج الرموز الدلالات وتداولها، بصورة حرة وتلقائية تتجاوز الحدود والمعوقات وأنواع الرقابة المختلفة كلها، بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية.
- يتسم بكونه فضاء تسامحي بامتياز فهو أكثر تسامحا من نظيره التقليدي. (هروس، 2018، صفحة 296)
- هذه الميزات والسمات جعلت للفضاء العمومي الافتراضي تأثيراً كبيراً في الميادين الثقافية، الاجتماعية والسياسية...الخ، منها:
- إعادة تشكيل التشكيلات الاجتماعية المختلفة وتأليفها، مراجعة التعريفات النمطية للفاعلين الاجتماعيين والأدوار التي يقومون بها، كذلك إعادة النظر في المقاربات والمفهومات العلمية التي يتم بها تحليل هذه الظواهر، ببروز كيانات اجتماعية جديدة ذات صبغة افتراضية "الجماعات الافتراضية" (الجموسي، 2016، صفحة 33)
- القدرة على توجيه الرأي العام وخلقه أحيانا، وكذلك التأثير في صناع القرار وتسديد السياسات العامة وتصويبها.

بلورة مفهوم متعدد الجنسيات للصالح العام الذي هو لب الفضاء العام بالمعنى الهابرماسي، إذ إن الهدف الرئيس من المناقشات الحرة والمفتوحة للأفراد داخل هذا الفضاء، هو اكتشاف احتياجاتهم المشتركة والتعبير عنها، لكن في الفضاء العمومي الافتراضي بتجاوزه الحدود الوطنية التقليدية، يصبغ هذه المصالح المشتركة بصبغة عالمية، مثل تلك المتعلقة بقضايا حقوق الإنسان ونشر الحرية والديمقراطية والمحافظة على البيئة ومحاربة الجريمة وغيرها، كل هذا ينعكس بآثاره الكبرى في المفهوم الاجتماعي للثقافة، وكذلك مفهوم المثقف وأدواره في ظل التغييرات العميقة في البيئة التي ينشط بها. (هروس، 2018، صفحة 297)

3- المثقف الأكاديمي في الفضاء العمومي: العوائق والاكراهات:

أثرت التحولات والتغيرات التي مست الجزائر وأصابت النخبة الأكاديمية بصدمة أدت إلى عدم مسايرتها لهذه التغيرات وبالتالي انعكست على تواجد هذه الفئة التي أُصيبت بالتشظي والتفكك بل والانسحاب من التأثير في الحياة العامة، وهكذا أثار

انسحابها تساؤلات عديدة خاصة مع اتهام مناوئيها لها بأنها أصبحت خاملة وغير قادرة على تبوء مكانتها المطلوبة منها والواقع يؤكد أن هذه الفئة أصيبت بصدمة نتيجة عدم مقدرتها على التكيف والتماشي مع المتغيرات الجديدة. (كبار، صفحة 382)

هذه المتغيرات والاكراهات تعددت في مشاربها وأنواعها لكنها تركت الأثر البالغ على المثقف الأكاديمي ومدى مشاركته أو انسحابه من الفضاء العمومي، هذه الاكراهات كانت على مستويات أبرزها:

3-1- الاكراهات على المستوى الاقتصادي:

اثر التدهور الاقتصادي وانخفاض القدرة الشرائية للمواطن بصفة عامة والمثقف الأكاديمي الذي يعد موظفا في مؤسسة عمومية كأستاذ جامعي في الغالب مما اضطره إلى مواجهة الأوضاع المعيشية اليومية والمتطلبات اليومية وتماشيا مع الثقافة السائدة، مما جعله يبحث عن البدائل المتوفرة فضَاعف ساعات العمل أو البحث عن مصدر آخر من مصادر الدخل، مما ضيق عليه سبل الولوج إلى الفضاء العام.

3-2- الاكراهات على المستوى الاجتماعي:

التراجع الاقتصادي له تأثير مباشر على الأوضاع الاجتماعية للمثقف الأكاديمي في معاشه وسكنه وفي تنقله وفي بيئة عمله مما أضاف ضغط إضافي أبعده عن تفعيل دوره.

3-3- الاكراهات على المستوى الثقافي:

ممارسات الأفراد ونظرتهم لنظرائهم، وازدراء المؤسسات الجامعية لدى الأفراد بسبب التدهور وعدم مواكبة الجامعة للمتغيرات التي يعرفها المحيط حولها، قيم الانتهازية والممارسات غير القانونية، ازدهار مفاهيم الربح السريع على حساب الضوابط المجتمعية...كل ذلك أدى إلى النفور من العلم والفكر وإكالة التهم للمثقف بأنه خامل وأناني... (كبار، صفحة 393).

3-4- الاكراهات على المستوى العلمي والإدراكي:

في غياب إستراتيجية وطنية سليمة وناجعة للنهوض بالبحث، الذي لن يتأتى إلا بالاهتمام بالموارد البشرية الخلاَّقة، فالمثقف الأكاديمي لا يزال يعاني من قضية عدم التفرغ للاهتمام بالبحث العلمي بسبب عدم الاستقرار ولفقدان الحوافز الحقيقية التي تدفعه لبذل الجهد، أننا نلاحظ أن المثقف الأكاديمي يعيش حالة من الأنوميا والاغتراب بين سندان واقع قاس كثير المتطلبات ومطرقة الواجب والضمير التي تحتمك عليه التضحية، العمل والعطاء. (كبار، صفحة 395)

هذا بالإضافة إلى عمليات الإقصاء والتهميش الممنهج التي دفعت المثقف الأكاديمي إلى اللجوء إلى نوع من الانسحاب والأنومية واختلاق الأعذار للتهرب من هذا المحيط.

3-5- الاكراهات/على المستوى السياسي:

علاقة المثقف بالسلطة كانت دائما علاقة شائكة، سواء كان المثقف مواليا ذا حضوة لدى السلطان السياسي، بسبب دوره المركزي في بناء شرعية ذلك السلطان، وهذا النوع من المثقفين الذين ينظر إليهم الجمهور دائما بنوع من الريبة والشك، أم كان مثقفا معارضا يعاني ثقل اكراهات التي يتعرض لها والرقابات المختلفة التي تطوق عمله. (هروس، 2018، صفحة 312)

مما يوجب على المثقفين ضرورة تحرير مجالهم الثقافي من استباحة السلطوية والحزبية، ومن جهة ثانية فان خدمة المثقف لمشروع السياسي تمنعه من التفكير إلا في ما يلائم طبيعة المشروع السياسي المنخرط فيه. (بلقزيز، 2010، الصفحات 164-166)

هذا بالإضافة سمة التفاعلية التي حدَت من الانغلاق والعزلة والهامشية، وكما يقول علي حرب "أعادت النظر في ادوار المثقف"، الذي مارس الوصاية على القيم العامة والمشتركة في صورة الدور الرسولي. (حرب، 2004، صفحة 14).

4- المثقف الأكاديمي الفاعل في الفضاء العام الافتراضي: الحو افز والإضافات

ليس المثقف قائدا للأمة والمجتمع، انه فاعل فكري يسهم في عقلنه السياسات والمعلومات والممارسات، بهذا المعنى المثقف هو عميل لا غنى عنه بين الواقع والقرار، أو بين المعرفة والسلطة، أو بين المعنى والقوة، انه يتوسط بين الدولة والمجتمع الأهلي، لكي يسهم في الحؤول دون سحق الدولة للأفراد والجماعات، أو دون طغيان المجتمع بقواه وطوائفه على الدولة والمجال العمومي. (حرب، 2004، صفحة 147)

لا شك أن ابرز التطورات العصر هو الانفجار المعلوماتي الهائل، وهو ما تم نعته بـ"الثورة الرقمية"، هذه الثورة التي حولت عالمنا الممتد في أبعاده المكانية والزمانية التقليدية إلى "مجتمع شبكي" صغير تغيرت فيه مفهومات المادة والفضاء والزمان، فالزمن تكثف، والمكان تقلص وتميع، هذه التطورات تعتبر" منعرج رقمي" لكونها أولا منعطف إنساني مهم، ثم أنها تفيد الصعود والترقي إلى مراقي رقمية و افتراضية التي لا يمكن أن تنتجها الثقافة التقليدية، وثالثا في كونها متعددة التفاعلات ومختلفة الأبعاد ومتداخلة الروابط والعقد، وأخيرا تتسم بالتفاعلية والتواصلية والافتراضية والشبكية. (هروس، الراقم والرقيم: المثقف العربي الرقمي رائد الحراك العربي، 2018، صفحة 317)

هذه التطورات من تداعياتها ظهور أنماط وأنواع جديدة من المثقفين، وإعادة تفعيل وأحياء أنماط أخرى موجودة سابقا لكنها كانت غير مُفعلة ومُهمشة في ظل الفضاء العمومي التقليدي ونخص بالذكر المثقف الأكاديمي.

4-1- دور المثقف الأكاديمي في الفضاء العمومي الافتراضي:

بتفعيل المثقف الأكاديمي سلطته الفكرية والرمزية وتعزيز مكانته في الفضاء العمومي الافتراضي فهو يروم القيام بادوار التنوير ونشر المعرفة، النقد والتأثير في صناعة القرار وتوجيه الرأي العام.

4-1-1- التنوير ونشر المعرفة:

يحيل مفهوم التنوير في اغلب المجالات المعرفية المتداولة عموما، إلى شيئين: الدفاع عن استقلالية إرادة الإنسان في إعمال عقله وعدم الاتكال على غيره في هذا الباب، وكذلك تقديم تفسير/تأويل جديد للنصوص الدينية أو قل تجديد الخطاب الديني، وهذان الأمران يرتبطان بالضرورة بانتشار المعرفة العلمية، التي هي مهمة المثقفين الموصوفين في المقام الأول بالإنتاج المعرفي الرمزي، الذين يسعون من خلال هذا الإنتاج إلى بث حقائق التنوير، والدفاع عن قيم الحرية والعلم والمعرفة، فالمثقف الحقيقي هو المثقف المستنير المدافع عن القيم المذكورة، وليس فقط من يمتهن عملا فكريا أو يبدع عملا ثقافيا كما يعي أهمية القيان بهذا الدور التاريخي. (هروس، 2018، صفحة 317)

4-1-2- النقد:

من نافل القول تأكيد أن ميلاد مفهوم المثقف في السياقات الحديثة قد ارتبط بممارسة النقد، فالوظيفة النقدية تشكل إحدى المنعرجات المهمة لتطور مفهوم المثقف وتكثيف دلالته، وليس مفهوم المثقف وحده الذي ارتبط ميلاده بوجود آلية النقد، بل مفهوم الثقافة نفسه قد ارتبط في دلالته الحديثة بموقف نقدي محدد تمثل في الدلالة على النقد الرومانسي قبل الماركسي للرأسمالية، ومن ثم فمفهوم المثقف يتعين عليه الاحتفاظ ببعده الاجتماعي لكي يؤدي الوظيفة النقدية التي تتطلب منه أن يساعد المجتمع على الوعي بذاته وعلى خلق رأي عام داخله، ووسيلة المثقف في ذلك وعدته: الخطاب. (هروس، 2018، صفحة 319)

وبملاحظة الفضاء العمومي عند هابرماس نجده تحدث عن العقلانية وممارسة النقد كأساس لقيام النقاش العام، النقد والنقاش الذي من المفترض انه ينبثق عن جمهور مستنير يحوي على جزء من العقلانية والنقد والمعرفة الموضوعية للحقائق

الاجتماعية، لاسيما أن النقد عند هابرماس ميزان حقيقي كوسيلة وآلية للتعديل والتقويم، ولعل المثقفين هم من أكثر الفئات قدرة على تمثيل هذا النموذج. (العيدي و تومي، 2021، صفحة 341)

وهكذا فان بنيان فكر نقدي بأكمله بحاجة ماسة إلى إعادة بناء نقدية، ولا يمكن الاضطلاع بذلك الجهد لا يعد مثقف كبير واحد، هو بمثابة شيخ مفكرين يتمتع بالموارد لفكره المتميز، هنا يستطيع المثقف الجمعي(حسب الاسم الذي أطلقه بورديو) أن يلعب دوره الذي لا يعوض بالمساعدة على توفير ظروف اجتماعية من اجل الإنتاج الجمعي للطوباويات الواقعية. (ادوارد، 2005، صفحة 157)

مما يتطلب من المثقف الأكاديمي توظيف نقده المزدوج في الفضاء الافتراضي، بما له من سلطة ثقافية تؤهله للقيام بالتقويم، والنقد في آن معا.

4-1-3- القدرة على التأثير في صناعة القرار وتوجيه الرأي العام:

الرأي العام ظاهرة اجتماعية وسياسية يتكون داخل المجتمع، يؤثر ويتأثر بالنظام السياسي الذي يسود المجتمع، ويعبر عن رأي الأغلبية في مجتمع ما. (العيدي و تومي، 2021، صفحة 337)

فالمثقف الأكاديمي في الفضاء العمومي الافتراضي أوسع من حيث الانتشار، اقدر على توجيه الرأي العام، وأكثر تأثيرا في صناع القرار من نظيره التقليدي.

فمن حيث المبدأ فالإنتاج المعرفي والرمزي الذين يتولاها المثقف إنما هو وظيفة قصدية، يروم من خلالها محاولة تحقيق التأثير على مستويين:

المستوى الأول: آني يهدف المثقف من خلال كتاباته بالذات إلى التأثير في العالم، بوصفه فاعلا حيا، وليس من خلال التأثير الذي يمكن أن يأمله بعد وفاته.

المستوى الثاني: على المدى البعيد محاولة الإقناع بان معركة التأثير الحقيقية تدور حول تغيير العقول وتشكيلها وتضمن له استمرار مشروعه بعد وفاته، فهو يقوم بهذه الوظيفة القصدية المزدوجة بوصفه فاعلا اجتماعيا يعي أهمية السلطة التي يمتلكها. (هروس، 2018، صفحة 321)

هذا ومجال العلاقة بين المثقف والرأي العام ينبع من عمق العامل الحاسم للمثقف في درجة تورطه في الفضاء العام، ومشاركته أفكاره النقدية مع الواقع الحيوي للعالم المعاصر. (العيدي و تومي، 2021، صفحة 341)

4-1-4- المثقف الأكاديمي وسعة الفضاء العمومي الافتراضي:

من يقرأ ما يكتبه المثقف الأكاديمي؟ زملاؤه "ربما" النخبة المثقفة محتمل؟...، الأكيد أن البحث العلمي والخطاب المعرفي داخل الجامعة توارى عن الأنظار مخلفا مكانه لليومي والسريع، القصير والمبستر، الحاضر الآني، التوصيفي دون التحليلي، ذلك ما يقودنا إلى نقطة أخرى ذات علاقة ودلالة وهي البحث العلمي عامة وفي العلوم الاجتماعية والإنسانية خاصة، الذي يأتي في مرتبة ثانوية لا يلتفت إليها احد سوى لجان الترقية داخل الجامعات، مما يقودنا أيضا إلى إشكالية المثقف والجمهور الموجه إليه البحث. (ابو النجا، 215، صفحة 113) أو الخطاب. ومن ثمة إذا أضفنا عامل الاستقلالية وتمثل الحرية، فان المثقف الأكاديمي خاصة في مجتمعنا ليس باستطاعة كل من ينتسب إلى مؤسسة بحثية تمول عمله ماديا وتدعمه معنويا أو يحصل منها على دخل ثابت "كما هو حال الأستاذ في الجامعة" أن يخرج عن محددات خطاب هذه المؤسسة. (ابو النجا، 215، صفحة 114)

لينتج لنا حال الأستاذ في الجامعة المنخرط في العلوم الاجتماعية والإنسانية ولكنه يعيش حياتين: حياة خارج الجامعة وحياة أخرى داخلها في قاعة التدريس حيث يتواصل مع الطلاب، يعيش آلاما شديدة، مثقف أكاديمي يعيش غيابا مزدوجا هنا وهناك، وأفكاره حبلى بالحضارة المؤجلة.

فخلافا لجماعات أكثر حرصا على السرية، يعتبر المثقفون من أصحاب البلاغة الذين يطلقون خطاباتهم في كل نوع، إنهم بعد كل شيء من أناس "الفضاء العام" بالمعنى التاريخي، الاجتماعي والرمزي الذي حدده هابرماس له، إنهم محترفو الكلام والكتابة، الاستبطان والعمل العقلي، إنهم يعرفون أساليب النشر والمطبوعات، والإعلان ووسائله. (بوخاري، صفحة 369)

وفي هذا الإطار فان الفضاء العمومي المحجوز من طرف مختلف السُلط يعمل على التضييق في مساحة الحريات أمام المثقف، هذه السُلط ظلت تعمل على التحكم في الوضع العام فتعمل على احتوائه بالمناصب وهي أخطار يسقط فيها المثقف الأكاديمي، فلا يستطيع التخلص منها باعتبارها مصدر الرزق، مما يجعله غائبا عن الفضاء العام لان مقعده الشاغر مشغول من الطرف المحجوز، في اغتراب عن نفسه وذاته أولا وعن مجمعه ومسؤولياته تجاهه ثانيا.

ويؤكد يورغن هابرماس أن وسائل الإعلام الالكتروني أحدثت جدلا واسعا وسط الجماهير، وأتاحت أثرا كبيرا في القضايا العامة في النخبة والسلطة والجماهير على حد سواء، وما يميز هنا المثقف الأكاديمي الفاعل هو قدرته على توظيف المجال السيبراني من اجل فتح نقاشات وعرض إنتاجه المعرفي وقد يتحول داخل الفضاء الافتراضي إلى فرد مؤثر وقائد رأي، وهو ما يجعل من الفضاء الرقمي أداة احتجاج وحشد. (الحسيني، 2019، صفحة 21)

وهنا يسجل ادوارد سعيد ملاحظته عن المميزات التقنية لتدخل المثقفين في أيامنا هذه من اجل استيعاب مكين لوفرة تسارع الاتصالات، حيث فرص المحافظة على المكتوب إلى زمن غير محدود(نظريا على الأقل) قد أطاحت حتى بفكرة الجمهور الفعلي في مقابل الجمهور الافتراضي، وما من شك في أن هذه الأمور قد حدَّت من القدرات التي تملكها الأنظمة على مراقبة الكتابات التي تعتبرها خطيرة أو حتى حضرها، علما انه لا توجد وسائل لا تخلو من الفضاضة لحجر الوظيفة التحررية للكتابة على الانترنيت أو الحد منها، ويضيف مدعما سمة حرية وسلاسة الفضاء العمومي الافتراضي بقوله:" إن مقالة أكتبها في نيويورك لصحيفة بريطانية سيكون لها الحظ في أن تعود فتظهر على مواقع الانترنيت أو عبر البريد الالكتروني على شاشات الولايات المتحدة الأمريكية واروبا وباكستان والشرق الأوسط وجنوب إفريقيا واستراليا كذلك، ولا يملك المؤلفون ولا الناشرون إلا سيطرة ضعيفة"، هذا ويدعو سعيد إلى العمل على فكرة تقول أننا على الأرجح واصلون إلى جماهير أوسع مما كنا نتصوره. (ادوارد، 2005، الصفحات 148-149)

وإذا علمنا أن المثقف في الجزائر ينقسم إلى نوعين أساسيين: مثقف فاعل وآخر منعزل، النوع الأول من المثقفين قلة قليلة، انخرطت في التفكير حول المسائل الاجتماعية والسياسية المعقدة، أما النوع الثاني من المثقفين فقد انعزل عن ممارسة مهمته، التي تحلل وتناقش الإشكالات الكبرى بالتفكير والنقد الاستراتيجي، صار هذا المثقف "النوع الثاني" مع الوقت مبتذلا ولا يختلف عن غيره من فئات المجتمع الأخرى، وعرف السياسي كيف يُقزم حجمه، ويجعل منه تابعا وقبِل المثقف نفسه الدور الثانوي الذي وُضع فيه هكذا راح يقتات من فتات السلط، ويدافع عنها...خوفا منها ودفاعا عن مصالحه الذاتية وطاعة لها. (خطيبي، 2017، صفحة 405)

وعند هذه الحدود القصوى من ضيق الفضاء العمومي المحجوز جاءت بشائر الفضاء العمومي الافتراضي لتفتح أمام المثقف الأكاديمي الفاعل فرصة الإنعتاق والولوج السلس إلى ذاته أولا ثم مجتمعه ثانيا عبر آلية مفتوحة تمنحه الحق والواجب في تمثل حريته ومسؤولياته.

فإذا كانت كل الأفكار تركز على أسباب تراجع ادوار المثقف عامة إلى أسباب ذاتية وأخرى مرتبطة بتأثير مختلف السُلط على حرية واستقلالية المثقف في مخرجات اجتماعية، ثقافية وسياسية، فهيمنة السياسي والديني على القرار وإبعاد المثقف عن ذلك، وتخوف السلطة من المثقف الأكاديمي الفاعل باعتباره الجدير بتبديد كل الخرافات والأساطير التي تخدم مصالح الطبقات والجماعات المهيمنة وتخدم الجهل، لهذا فكل محاولة لفضح هذا التحالف ستحارب بقوة، ومن جهة أخرى الأسباب التاريخية لغياب وتغييب المثقف عامة في الجزائر المتمثلة في مرحلة انعدام الحواضر الثقافية في فترة حكم الدولة العثمانية والنظرة التي كان ينظر إليها على أساس أنها أيالة، ثم مرحلة الاستكبار الاستيطاني، وبعدها ثم مرحلة " البقرطة" بعد الاستقلال بسبب سياسة شعبوية جعلت المثقف يعيش على الهامش، فلم يستطع المثقف أن يعيش شرطه الحضاري، هذا التاريخ الذي لم يكن في صالحه، ولم تكن الثقافة يوما جوهرية في المشاريع السياسية بُعيد الاستقلال. (بوعزيز، 2020، صفحة 15)

هذه السُلط ولما لها من وسائل وآليات تتأرجح بين الترغيب والترهيب، فان الاستقلالية والحرية وباقي سمات الفضاء العمومي الافتراضي يجعل من الأسباب المذكورة غير ذات جدوى أمام فساحة هذا الفضاء غير المقيد والمفتوح تلقائيا أمام المثقف الأكاديمي دون خوف من مآل أُجرته أو منصبه أو حسابات ذات علاقة بمساره المهني.

فان كان في السابق عدم وجود الوسائل وضيق أفق الفضاء العمومي حُجة يمكن أن يُستند عليها لتبرير تخلي المثقف الأكاديمي عن مهمته ومسؤولياته، فان الثورة المعلوماتية فرضت واقعا جديدا لم يبق معه للتبريرات الكلاسيكية القديمة تأثير.

هذا ما يؤكد قدرة المثقف على التأثير وحيازة مزيدا من السلطة، من خلال ممارسة أدواره الاجتماعية، التي تضاعفت وتيرتها في هذا الفضاء، فبالرجوع إلى مفهوم " الاتصال الذاتي الجماهيري" لدى مانويل كاستلز Manuel Castells ، نفهم مدى الاتساع والعمق الذين يتيحهما هذا البعد الجديد للمثقف في ممارسته وظائفه الاجتماعية، متى بادر إلى العروج إلى عالم الرقميات. (هروس، 2018، صفحة 316)

في ظل هذا الفضاء العام الافتراضي يجد المثقف الأكاديمي الفاعل نفسه في موقع قوة، والتي يقصد بها إمكانات النفوذ التي يمتلكها في المجتمع الافتراضي المنبثقة عن الحرية الافتراضية مقابل القهر و التسلط في الواقع، خاصة من خلال حرية الانضمام ومرونة التحرك، وعن الاهتمام المشترك الذي يساعد على تكوين أشكال مختلفة من الحركات الاجتماعية، ثالثا عن التفاعلية في ظل اختفاء قيود المكان والزمان والسلطة، فضلا عن عاملي المعرفة والقدرة على الانتشار.(باسم النجار، 2019، صفحة 11)

هذا الفضاء الذي قدم مزيدا من الاستقلالية والتحرر، يُتيح للمثقف الأكاديمي الفاعل فسحة للتغير والقصد إلى إحداث التأثير في طرق التفكير وأنماط السلوك الهامد، فرصة مباشرة البحث في أسباب انحطاط مجتمعه بعيدا عن إكراهات وإغراءات السُلط المختلفة، وبحرية عن تجاذبات المغرم والمكرم، ثم يقوم بعد ذلك بتنبيه مجتمعه إلى السبب الأساسي لمصيره وقدره التاريخي، ويبدي لمجتمعه الحل والهدف وأسلوب السير الصحيح.

4-1-5- المثقف الأكاديمي وضرورة بناء هويته الرقمية:

بالتركيز على مبادئ التسويق، المثقف الأكاديمي مدعو إلى بناء هويته الرقمية والتي هي مجموع تمثلاته لشخصه كفرد مستقل بذاته وكائن له وجود ويحمل رسالة يرى في نفسه مُؤتمنا على إيصالها، معتمدا على زاده المعرفي والعلمي والرمزي ومجالات تأثيره في بيئاته، عبر الاستثمار في الفضاء العمومي الافتراضي لطرح دلالات جديدة غنية، تتقاطع بين العام والخاص في توليفة تمزج بين طرح أفكار تخص الشأن العام وتقديم الذات لمتابعيه في صورة محتوى رصين للقضايا التي يتناولها.

وهناك العديد من التقنيات والأساليب التي يتم بها بناء الهوية الرقمية منها: الاستخدام المتنوع والمكثف للشبكات الاجتماعية حيث يسهم ذلك في إظهار أفراد أكثر تأثيرا، وكذلك الاتجاه نحو مجال متخصص يقدم من خلاله نفسه عبر التركيز

على القضايا المجتمعية مما يؤثر على شمولية المحتوى وعمق الطرح. (باسم النجار، 2019، صفحة 13)، وأياكان مستوى التماس بين الواقعي والافتراضي، إلا أن سلطة المثقف افتراضيا لها أن تُقَوِي سلطة المثقف في الواقع، وحسن استغلال هذه النقطة قد يكون الحل الأنسب لعديد مشاكلنا "خاصة الثقافية منها" في حال كان المسلك نحوها مسلكا واعيا. (بوخاري، صفحة 374)

5- الرقمية وحتمية التحول إلى الفضاء العمومي الافتراضي:

5-1- الرقمية وتحرير المجال الثقافي:

وإعادة "الثقافي" إلى الواجهة بعدما كانت السلطة السياسية قد تغولت عليه وقضمت الكثير من مساحاته الرمزية وجردته من أسلحة المقاومة، فلم يعد الاشتغال في الحقل الثقافي مرهونا برضا المنظومات السياسية وقنواتها المعبئة، بل أصبح بإمكان المثقفين النأي بأنفسهم بعيدا عن سلطة الإكراه والقسر، عن طريق العروج إلى مقامات رقمية افتراضية مستقلة. (هروس، 2018، صفحة 315)

5-2- الرقمية وتعزيز قدرة المثقف المستقل:

قدرة المثقف على مقاومة كل إشكال الهيمنة الثقافية المحتكرة، فميزة الرقمية أنها أضافت للمثقف عامة والمثقف الأكاديمي الصبغة والآلية الرقمية مما عزز قدرته على تجاوز الحدود التي كبلته.

6- المثقف الأكاديمي الفاعل وتجليات غلبة ديمقراطية الفضاء العام الافتراضي:

ركزت مدرسة فرانكفورت اهتماماتها على التكنولوجيا والثقافة، مشيرة إلى تحول التكنولوجيا إلى قوة رئيسية لتكوين التنظيم الاجتماعي وإنتاجه والسيطرة عليه، فقد ذهب هربرت ماركيوز Herbert Marcuse في مقال صدر له في عام 1941 بعنوان:" بعض الآثار الاجتماعية للتكنولوجيا الحديثة"، إلى أن التكنولوجيا المعاصرة تشكل أداة لتنظيم وإدامة أو تغيير العلاقات الاجتماعية، ومظهرا من مظاهر أنماط السلوك والفكر السائد، ووسيلة للسيطرة والهيمنة، ففي مجال الثقافة تنتج التكنولوجيا ثقافة شاملة تعوِّد الأفراد على الامتثال لأنماط التفكير والسلوك المهيمنين، وبالتالي توفر أداة قوية للرقابة الاجتماعية والهيمنة. (بنهلال، 2013، الصفحات 23-24)

فمع التطور التكنولوجي وإتاحة الشبكات الاجتماعية، تزايد الدور الذي تلعبه النخب المتواجدة على تلك المنصات، لاسيما وان أهم ما أتاحته تلك الشبكات أنها أوجدت منابر فردية تسمح للأفراد بإنتاج المحتوى والتعبير عنه في فضاء الإعلام الاجتماعي وعرض القضايا المجتمعية تحت اطر محددة يختارها الأفراد المساهمون في إنتاج المحتوى بانتظام، مما يستدعي مجالا عاما للنقاش والحوار أصبح لقضاياه أولوية الحضور والاهتمام. (باسم النجار، 2019، الصفحات 6-7)

وبالعودة إلى المفهوم الهابرماسي للفضاء العمومي من انه يركز على النقاش والحجاج العقلي، والذي يجب أن يكون بمنأى عن أية تأثيرات إيديولوجية، هذا الضرب من الحجاج لا يمكن أن يتحقق إلا داخل فضاء عمومي تتحقق فيه شروط الديمقراطية، وبمفهوم المطابقة فان التفاهمات والتوافقات المحققة فيه لا يمكن أن تتم إلا في المجتمعات الديمقراطية، أما المجتمعات غير الديمقراطية فلا محيد أمامها من الوقوع في عدد من النزاعات الدموية والصراعات الأهلية، لأنها لا تتوفر على القنوات الضرورية لفض نزاعاتها. (هواري، 2015، صفحة 227)

فاستخدام المثقف للاتصال الشبكي كأداة للتثاقف، وكمعيار مكمل لتحقيق البناء الاجتماعي، يشترط تحقيق ديمقراطية ثقافية واعية على ارض الواقع. (بوخاري، صفحة 374)

فبقدر ما يكون الاتصال حاضرا تتقلص الحروب وكلما غاب الاتصال بين الشعوب احتدم الاقتتال وفقا لمقولة دومينيك فالتون Dominic Falton في كتابه المعنون بـ:" يجب إنقاذ الاتصال"، فإذا كان الاتصال أساسي لتجنب الحروب فهو بلا شك

ضروري أيضا من اجل إرساء مجتمعات الديمقراطية والانفكاك من التخلف الديمقراطي الذي لا يعود فقط إلى حصر الديمقراطية في الشعارات بل يعود أيضا إلى تخلف أوعية الديمقراطية، فرفض الوسيط هو رفض لوعاء المعرفة وعندما يكون الإعلام إقصائي موجه من طرف السلطة باعتباره جهاز إيديولوجي يخدم خطاب السلطة مع تهميش شريحة واسعة من الفئات المجتمعية كانت الفضاءات البديلة هي الوسيط الذي ينفذ من خلاله الكثير من المهمشين. (هواري، 2015، صفحة 222)

فشبكات التواصل الاجتماعي أوجدت أشكالا جديدة من الفعل الاجتماعي حيث سمحت للنخب المهمشة بتجاوز آليات تغييبها من المجال العمومي التقليدي المسيطر عليه، وشكلت فضاءات يحكمها الانسجام الفكري بحيث أصبح بإمكانها أن تنتج مضامين سياسية وثقافية، مما افرز نخبا جديدة يسيطرون على النقاش ويديرونه وفق قواعدهم وينتجون خطابات استطاعت من خلالها اكتساب شعبية كبيرة أن تسيطر على الرأي العام الافتراضي وتدير النقاش من خلاله. (باسم النجار، 2019، الصفحات 8-9)

وإذا كان من ادوار المثقف الأكاديمي في الفضاء العمومي الافتراضي التأثير في الرأي العام ، فان هذا الأخير يرتبط ارتباطا وثيقا بالديمقراطية وعملية تعزيزها، ويكتسي الفضاء العمومي قيمة معيارية لأنه يقوم على فكرة تواجد مساحات عامة تتبلور فيها السياسة الشعبية والمشاركة الفاعلة للمواطنين، وبالتالي يصبح هذا الفضاء المؤشر الأكثر وضوحا على درجة الديمقراطية التي تحققت، أيضا يشكل مفهومه عند هابرماس مفتاح ممارسة الديمقراطية، حيث يعرفه على انه الدائرة التي تتوسط بين المجتمع المدني والدولة. (العيدي و تومي، 2021، الصفحات 338-340) وهنا يتموقع المثقف الأكاديمي الفاعل.

ومما سبق، يتأتى للمثقف الأكاديمي الذي "أعجزته" المعوقات والاكراهات من ولوج الفضاء العمومي التقليدي ويُفَعل سلطته الثقافية، فبالإضافة إلى الآثار الايجابية للديمقراطية التمثيلية في المجتمعات الغربية، فان للانترنيت وباقي تكنولوجيا المعرفة والاتصال الجديدة الأخرى أثارا ايجابية مهمة في الحركات المعارضة في الأنظمة غير الديمقراطية، كما أنها تدعم الدمقرطة في الدول التي تعيش مسلسلا للانتقال. (بنهلال، 2013، صفحة 18)

هذا، ويَعْقد الكثير من المفكرين والباحثين الأمل على جيل الانترنيت في تجديد الأنظمة السياسية الديمقراطية التي تعاني اختلالات، من خلال تبسيط تدفق المعلومات وتسهيل التفاعل بين الأفراد مما يتيح للمواطنين المشاركة بنشاط اكبر في الحياة العامة، وبالتالي تعزيز الديمقراطية، فجيل الانترنيت حمل معه بداية دمقرطة الحياة السياسية والتفكير الناقد والالتزام بالقضايا الوطنية، مما يعطي نفسا جديدا للديمقراطية. (هواري، 2015، صفحة 226).

7- خاتمة:

يفتح الفضاء العمومي الافتراضي فرصة انعتاق المثقف الأكاديمي من اكراهات وعوائق مختلف السُلط ، ويعطيه حريته التي طالما حُرم منها واستقلاليته التي انتزعها بفضل استقلالية وتفاعلية وباقي خصائص وسمات الفضاء العمومي الافتراضي، مع قيام مسؤوليته كاملة تجاه ذاته أولا ثم مجتمعه ثانيا، هذه اللحظة التاريخية تحمل انفتاحا تاما وفي انقلاب كامل عن ما سبقها من حقب تاريخية غيبت المثقف الأكاديمي طوعا أو كرها وجعلته مسلوب الحرية قاصر عن حمل المسؤولية. وتعزيزا لهذا الانفتاح المدعم لحرية ومسؤولية المثقف الأكاديمي وجب تفعيله بمايلي:

- على المثقف الأكاديمي الاشتغال على حقول متعددة، فالتداخل سمة المعارف ما بعد الحداثية التي تحاول تجاوز الهويات العلمية الضيقة، فالتخصص الدقيق يحجم من حرية الانتقال بين المعارف الإنسانية.
- الفضاء العمومي الافتراضي مجال مفتوح أمام الجميع، فإذا لم يملئ المثقف الأكاديمي حيزه شغله "الأخر" مهما كان، فالطبيعة تأبى الفراغ،

- المثقف الأكاديمي مدعو إلى بناء هويته الرقمية والتي هي مجموع تمثلاته لشخصه كفرد مستقل بذاته وكائن له وجود ويحمل رسالة يرى في نفسه مُؤتمنا على إيصالها، معتمدا على زاده المعرفي والعلمي والرمزي ومجالات تأثيره في بيئاته، عبر الاستثمار في الفضاء العمومي الافتراضي لطرح دلالات جديدة غنية، تتقاطع بين العام والخاص في توليفة تمزج بين طرح أفكار تخص الشأن العام وتقديم الذات لمتابعيه في صورة محتوى رصين للقضايا التي يتناولها.
- على المثقف الأكاديمي أن يُفَعل دوره ويستثمر قوته وتأثيره باستغلال ايجابيات الفضاء العمومي الافتراضي، مع مشاركته الفعلية والفعَّالة لمجتمعه في لحظته التاريخية، ولا يكون شبيه بومة مينيرفا لدى هيغل ينتظر انتهاء المعنى التاريخي لكي يُحوصل ويركب ديالكتيكيته.

- قائمة المراجع:

اسماعيل نوري. (2016). المثقف العربي المعني بالمسؤولية. مجلة الجامعة الاهلية.

آسيا بلخير. (شتاء, 2018). المواطنة في زمن الفضاءات المفتوحة " تجليات الولاء بين المحلي والمعولم". مجلة البحوث والدراسات ، المجلد 15 (العدد الاول).

أمين الحسيني. (جويلية, 2019). الباحثون الفاعلون كأفق تفكير. كراسات منتدى المرصد التونسي، سوسيولوجيا الفعل الجماعي في تونس منذ 14 جانفي 2011 (العدد الثاني).

جوهر الجموسي. (2016). الافتراصي والثورة، مكانة الانترنيت في نشاة مجتمع مدني عربي. المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات .

حسين جمعة. (2007). رسالة المثقف الجامعي. مجلة جامعة دمشق، سوريا ، المجلد 23،

حفيظ هروس. (افريل, 2018). الراقم والرقيم: المثقف العربي الرقمي رائد الحراك العربي. مجلة قلمون للدراسات والابحاث الفكيرية والاجتماعية والسياسية (العدد الخامس).

حفيظة بوخاري. (بلا تاريخ). المثقف واليات التفاعل في البيئة الاعلامية الجديدة. مجلة الحوار الثقافي ، المجلد 4 (العدد 2).

حمزة هواري. (سبتمبر, 2015). مواقع التواصل الاجتماعي واشكالية الفضاء العمومي. مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية ، المجلد7 (العدد 20).

خيرة العيدي، و ام الخير تومي. (جانفي, 2021). رهانات حضور المثقف في بيئة الاعلام الجديد، مقاربة عن دور المثقف في صناعة الراي العام عبر الفضاء العام الافتراضي. المجلة العربية للابحاث والدراسات في العلوم الانسانية والاجتماعية ، المجلد13 (العدد 1).

رشيد العلوي. (2014). الفضاء العمومي: من هابرماس الى نانسي فريزر. مؤسسة بلا حدود للدراسات والابحاث، الرباط، المغرب .

زهراء باسم النجار. (2019). محركات التأثير في الفضاء الالكتروني، من النخب التقليدية الى محركي الشبكات الاجتماعية. مركز نهوض للابحاث والدراسات .

سعيد ادوارد. (2005). الانسنية والنقد الديمقراطي. (فواز الطرابيشي، المترجم) بيروت، لبنان: دار الادب.

سعيد خطيبي. (2017). في مقال: نحوى مصطفى، المثقف الاكاديمي وعمليات التحولات السياسية.

شيرين ابو النجا. (ربيع, 215). المثقف في الجامعة، لماذا يجب ان نقرأ الماضي. مجلة عمران (العدد 12).

عبد الاله بلقزيز. (2010). نهاية الداعية: الممكن والممتنع في ادوار المثقفين. بيروت، لبنان: الشبكة العربية للابحاث والنشر.

عبد الله كبار. (بلا تاريخ). المثقف الاكاديمي واشكالية الهوية. مجلة العلوم الاتنسانية والاجتماعية، المجلد الثالث (العدد الخامس).

عزمي بشارة. (2013). عن المثقف والثورة. (المركز العربي للابحاث ودراسات اسياسات، المحرر) مجلة تبيين (العدد الرابع).

علي حرب. (2004). اوهام النخبة او نقد المثقف. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.

علياء سامي عبد الفتاح. (2009). الانترنيت والشباب: دراسة في اليات التفاعل الاجتماعي. القاهرة،، مصر: دار العالم العربي.

فريدة صغير عباس. (2018). تجليات البفضاءالعمومي الافتراضي من خلال التفاعل الافتراضي عبر المجموعات الافتراضية، دراسة تحليلية اثنوغرافية. المجلة الجزائرية للابحاث والدراسات (العدد الرابع).

محمد بنهلال. (2013). الاعلام الجديد ورهان تطوير الممارسات السياسية: تحليل لاهم النظريات والاتجاهات العالمية والعربية، في عبد الاله بالقزيز وآخرون، الاعلام وتشكيل الراي العام وصناعة القيم. بيروت، لبنان: سلسلة كتب المستقبل العربي (69)، مركز دراسات الوحدة العربية.

محمد عابد الجابري. (2000). المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد (الإصدار الطبعة الثانية). بيروت، بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

محمد يحيى. (17 اوت, 2007). المثقف العربي وبناء الواقع العربي. صحيفة المثقف .

مصطفى بن حوى، و مصطفى الزاوي. (ديسمبر, 2017). المثقف الاكاديمي وعمليات التحولات السياسية في الجزائر. المجلة الجزائرية للحقوق والعلوم السياسية (العدد الرابع).

وحيد بوعزيز. (2020). المثقف البروميثيوسي هو من سينقذ بلدان الجنوب. جريدة العرب ، السنة 42 (العدد 11613).